

## محب الدين الخطيب<sup>1</sup> داعية العروبة والإسلام

### Muhibb Al-Din Al-Khatib advocating Arabism and Islam

د/ حسين محمد الشريف\* Dr. Hussein Mohammed Al-Sharif

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة-University of Mohamed Boudiaf M'sila

ahmedmch@hotmail.com

معلومات المقال/History of the article		
القبول للنشر/Published	المراجعة/Accepted	الإرسال/Received
2019/06/30	2019/02/22	2019/01/17

الملخص:

عرف العالم العربي نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م مجموعة من المفكرين العرب عرفوا بدعاة القومية العربية، حيث نادوا بالوحدة العربية دون تفرقة تجمعهم هوية واحدة هي العروبة ودين واحد وهو الإسلام. ومن عرفوا في هذا الاتجاه المفكر محب الدين الخطيب الذي كان بفكره يهدف إلى لم شمل العرب بعد أن بقي يئن لقرون تحت سيطرة ووطأت الاستعمار الأجنبي وبأشكاله المختلفة، خاصة بعد تفكيك وسقوط الدولة العثمانية أكبر إمبراطورية إسلامية، وقد كان في منظوره أن العروبة لها ثلاث ركائز اللغة والإخلاص للأمة العربية والوفاء للدين الإسلام.

الكلمات المفتاحية: محب الدين الخطيب، العروبة، الخلافة الإسلامية، القومية العربية.

#### Summary:

The Arab world knew the end of the 19 th century and the beginning of the 20th century AD A group of Arab thinkers were known for the advocates of Arab nationalism, where they called for Arab unity without distinction, united by a single identity: Arabism and one religion, which is Islam. And those who knew in this direction the thinker Muhibb al-Din al-Khatib, who was in his idea aiming to reunite the Arabs after he remained moaning for centuries under the domination of foreign colonialism and its various forms, especially after the dismantling and the fall of the Ottoman Empire the largest Islamic empire, and it was in his view that Arabism has three pillars of language Sincerity to the Arab nation and loyalty to the religion of Islam.

**key words:** Muhibb Al-Din Al-Khatib, Pan-Arabism, The Islamic Caliphate, Arab nationalism.

مقدمة:

شهدت الأمة الإسلامية عامة والعربية خاصة منذ سقوط الخلافة الإسلامية يوم 3 مارس 1924م قحطاً فكرياً، تمزقاً سياسياً وهيمنة استعمارية بمختلف أنواعها حاول فيها العرب ومفكروهم أن يستجمعوا أسباب ودوافع اتحاد أمتهم وترباطها وتضامنها وصولاً إلى بعث الأمة العربية الواحدة من المحيط إلى الخليج وفق مواصفاتها الحضارية التي وضعتها مبادئ دينهم الخنيف، فيما عُرف لدى الكثير من المفكرين العرب والمسلمين بالعروبة والإسلام، ومن بين هؤلاء العلامة محّب الدين الخطيب الذي عايش آنذاك الواقع الإسلامي والعربي، حيث عملت الدول الاستعمارية مجتمعة ومنفردة على تقسيم ما بقي من البلاد الإسلامية وتفريقها وفصل العرب عن العجم، ثم تقسيم العرب إلى دول والعمل على تقسيم هذه الدول إلى أقليات مثلما فعلت فرنسا في بلاد الشام وما حاولت أن تفعله في بلاد المغرب العربي، وهذا ما سنحاول التركيز عليه في هذا المقال من حيث مناقشة أفكار هذا الاتجاه ومنظوره ومفهومه للقومية العربية وللعروبة والإسلام ودور محّب الدين وغيره في ذلك بعد أن وجد العرب أنفسهم ممزقين ومستعمرين وحدهم دون نصير.

### 1- مفهوم العروبة والقومية عند محّب الدين الخطيب:

مفهوم العروبة ليس واحداً عند المفكرين والكتاب فهناك من يحرصها في الانتماء الجنسي والجغرافي وهناك من يرى بأنها لسان وفريق ثالث يراها لسانا ودينا.

وأما محّب الدين الخطيب فيقول: (ليس العربي عندي من عاش في البادية متسلّسلا عن آباء القبيلة وإنما العربي من شدا هذه اللغة وشارك في حفظ أمانتها وتطوّع في بريد الهدى لحمل رسالتها...) <sup>2</sup>. والعروبة عنده امتداد من الضيق إلى الأوسع (فلما حوّل الإسلام حياة القبيلة إلى حياة الدولة وعصبية النسب إلى عصبية الحق والخير فشت العروبة مع الإسلام في كل قطر وصل إليه بل كانت هي من شروطه لأنها مفاتيحه ولسانه وترجمانه... من ذلك الحين نشأت إلى جانب عروبة القبيلة التي هذبها الإسلام عروبة جديدة هي وليدة الحضارة الإسلامية وهي التي نشاهد

آثارها الآن في العراق والشام ومصر والسودان وشمال إفريقيا وعلى أساسها قامت جامعة الدول العربية...). والعروبة عنده حضارة. (...والحضارة بوتقة تذوب فيها الأنساب والعبرة فيها ليست للدم ولا للأصل...)<sup>3</sup>.

(...الحضارة تضيع فيها الأنساب لأنها بوتقة تذوب فيها عصبيات النسب التي لا حياة لها إلا في البادية والعبرة في قومية البلاد المتقدمة للغة والثقافة ووحدة المطمح فالبلاد التي تشترك في لغة واحدة وثقافة واحدة وترمي إلى مطمح واحد تتألف منها امة واحدة مهما عبثت السياسة بالألوان على خريطة البلاد التي تتكلم اللغة الواحدة وتتلقى الثقافة الواحدة وترمي إلى مطمح قومي واحد. فنابليون بونابرت<sup>4</sup> مخلوق ولد في كورسيكا من أبوين تجول في عروقهما الدماء الإيطالية ولكن اللغة التي نشأ عليها والثقافة التي تلقاها والمطمح الذي آمن به كل ذلك فرنسي ولهذا كان بونابرت نجما لامعا في سماء القومية الفرنسية.

ومصطفى كمال مولود في "سلانيك" (اليونان) وأبوه من "لاراسيا" (اليونان) فلا هو ولا أي رجل من الذين يعملون معه باسم القومية التركية تدل سحتهم على بقايا من تراث تركستان ومع ذلك فإنهم اليوم حاملون لواء العصبية التركية إلى أبعد مدى وهم لا يقولون نحن "أناضوليون" (نسبة إلى الوطن الذي تتألف منه مملكتهم) بل تجول عنجهيتهم القومية في أفق واسع من هذا الأفق الضيق فينتمون مع اعتزازهم بالأناضولية إلى الجنسية التركية التي يشتركون فيها مع شعوب أخرى في الشرق البعيد...)<sup>5</sup>.

علما أن الخطيب يرى في القومية العربية من أسباب البقاء والحياة ما لا يراها في القوميات الأخرى وان القومية العربية كائن حي بل حياة كائنة وما عرف تاريخ الإنسانية قومية أشد حيوية وجاذبية من هذه القومية لأنها تبقى سائرة في قوافل الأجيال وهي إن كبتت عصرا أو زمنا فإنها سرعان ما تعود لتنتقل من جديد متحدية كل أسباب ذوبها وركودها والواقفين في وجهها والمتأمرين عليها<sup>6</sup>.

ولعل السياسي البريطاني المشهور رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية "ونستون تشرشل" قد أدرك حقيقة هذه القومية وعوامل بقائها وصحتها حين قال: (دعوا هذا الفهد في غفوته) وهو كلام وجهه لأبناء قومه وغيرهم من المستعمرين.

ذلك لأن عنصر صحوتها وبقائها هو الإسلام وهو أحد أركانها وأهم عناصر بقائها ووجودها ما دامت في رعاية الله واللغة التي اختارها الله لسانا لدينه الحنيف، مصداقا لقوله تعالى: (إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا) <sup>7</sup>. وهي على عكس القوميات الأخرى المبنية على العصبية كالألمانية والطورانية. وعند الخطيب أن لا نهوض للإسلام إلا بأبناء العروبة والناطقين بالضاد وأن العروبة إن لم يكن لها عون من الإسلام فلا تتبوأ مكانها في تاريخ الإنسانية <sup>8</sup>.

عاش الخطيب حياته قومي المنطلق إسلامي العقيدة والفكر وبات يجاهد على جبهتين الجبهة القومية والجبهة الإسلامية ويتصدى بكل قوة لمن يحاول النيل من إحدايهما أو الحطّ من قيمتها. وعنده أن القومية في الحضارات لا تتبع الأنساب لأن الأنساب محفوظة عند العشائر البدوية وإلى حدّ محدود، أما في الحضارات العالمية فالقومية تقوم على وحدة اللغة والثقافة والمطمح، أو الآمال والآلام المشتركة والتاريخ المشترك. وأن العربي عنده هو كل من نطق بالضاد بغض النظر عن أصله وفصله، وأنه ليس من عاش في البادية أبا عن جدّ إنما هو من شدا بهذه اللغة وشارك في حفظ أمانتها وتطوع في حمل رسالتها وشارك في جهادها. فصلاح الدين الأيوبي <sup>9</sup> قاهر الصليبيين في معركة حطّين عام 1187م بفلسطين هو عربي في منظاره وطارق بن زياد <sup>10</sup> فاتح الأندلس عام 711م هو عربي عنده ونور الدين زنكي <sup>11</sup> المملوكي هو عربي...

فالمقياس عند الخطيب هو اللغة والإخلاص للأمة العربية والوفاء لدين الإسلام، وحتى النصرارى العرب عنده هم عرب لهم ما للعرب من حقوق وعليهم ما على العرب المسلمين من واجبات، ونظرته إليهم نابعة من نظرة الإسلام إليهم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بهم خيرا حيث قال: "من آذى ذمّي فقد آذاني". أما الذين يثنون الاعتزاز بالأنساب والعودة بالناطقين بالضاد إلى الوثنيات القديمة وجذور العصبية في رأيه فإنما هم يكيّدون لهذه الأمة ويريدون بعثرتها وتجزئتها وأبعادها عن الإسلام الذي يعدّ ماضيه وماضي العرب شيء واحد. فمفاخر العرب ومفاخر الإسلام يجمعها ديوان واحد. ويضيف الخطيب قائلا: (ما رأيت في مصر رجلا امتلأ قلبه بنور الإسلام إلا رأيت في قلبه إلى جانب ذلك النور خفقة من محبة العرب وعروة تربطه بلغة القرآن وأرض القرآن والأمة التي نزل عليها القرآن) <sup>12</sup>.

فالخطيب بذلك ينهل من مشرب نبي الرحمة محمد ﷺ القائل: ((كل من تكلم العربية فهو عربي)). والعروبة عنده كذلك ليست لغة فحسب بل هي جغرافية ورسالة حضارية يجب على العربي أن يستمر في نقلها دوما للإنسانية جمعاء. والعروبة عنده سجايا وقيم. وهو يقول: (...العروبة بتعريفها الصحيح هي مجموعة من السجايا والأخلاق إذا انتشرت بالقدوة والتعامل تجددت بها المعجزة وكان لها ما لا يكون لأي مؤثر آخر في الوجود. العروبة أخلاق هذبها الإسلام وكلما كانت روح الناطق بالضاد أشد تعلقا بهذه الأخلاق وتشبعا بغذائها وإيمانا بصلاحها وقدسيتهما كان أعرق من عروبه وأوغل من التهذيب الذي لمستته به يد الإسلام الرحيمة. والعربي المنسلخ عن هذه الأخلاق خارج على عروبه ولو كان أصيلا في نسبه إلى شهال بن عمرو بن شرعب جد الأقبال والملوك من حمير أو إلى نزار بن معد أبي ربيعة ومضر...)<sup>13</sup>.

وفي مضممار آخر يقول: (...وسجايا العروبة أخلاق هذبها الإسلام وقام على أركانها فكانت له السيادة وكانت للإنسانية به المثل العليا مشاهدة بما تصرفات أهله ومعاملاتهم بعد أن كانت خيالا وهميا...)<sup>14</sup>. ثم يحث العرب أن يتصفوا بأخلاق العروبة قائلا: (...فعلى الذين أكرمهم الله بأن ولدوا من أمة الضاد أن يتبعوا أخلاق العروبة خلقا فخلقوا وكلما تثبتوا من خلق أنه كان من أخلاق العروبة ومما كان يعتز به نبلاء العرب وحكماؤهم وكلمتهم يجب عليهم أن يحيوه في أنفسهم ويعرضوه على الناس بتصرفاتهم ويعلموا عن عروبه بتخلقهم به ثم أن يستحيوا من الله أن يراهم تحولوا عن ذلك الخلق طرفة عين، وبذلك يبعث الله أخلاق العروبة في نفوس ورثتها بعد أن ماتت وشبعت موتا وبجياة هذه الأخلاق يحيى الذين يتعاملون بها ثم تنتقل هذه الأمانة إلى من يتلقاها عنهم من الأجيال الناشئة...)<sup>15</sup>. ويتضح لنا من خلال ذلك أن العروبة عند الخطيب لا يكفي أن تكون لسانا ولا أن تكون نسبا بل هي أخلاق ورسالة يجب حملها إلى الناس. وهي جغرافية تمتد من حدود فارس إلى رباط الفتح في أقصى المغرب. (...عروبتنا نحن المصريين أو السوريين أو العراقيين أو المغاربة أقدم وأعرق... إن هذه الأقطار التي اكتسبت حضارتها من حضارة الإسلام وثقافته مضى ثلاثة عشر قرنا على اتخاذها العربية لسانا والعروبة قومية...)<sup>16</sup>.

والقومية عنده لا تزيل القطرية المجسدة في الميدان ولكنها تجعل منها أداة لخلق قومية أكثر تفاعلا وأكثر انسجاما مع الواقع. والقومية ليست عناصر مشتركة فقط بل يجب أن يضاف إلى تلك العناصر عنصر آخر مهم وهو أن يكون لها مفتح وغاية واضحة تسعى إلى تحقيقها وإن لم يكن لها ذلك فهي قومية عرجاء. (...وبعد فإن كل قومية لا مفتح لها لا يجوز أن تعد قومية والأمة القائمة بما تلك القومية التي لا مفتح لها لا يراها الناس أمة بل هي قطعان غنم...)<sup>17</sup>. (...ولعل من أظهر مظاهر الحضارة في الشعوب تعاون عناصرها على الخير في الأمور المشتركة. فكما أن أهل البيت الواحد لا يمنعهم وفاءهم لبلدهم من أن يكونوا حريصين على توفير السعادة في داخل بيتهم وكما أن أهل البلد الواحد لا يمنعهم وفاءهم لوطنهم من أن يكونوا حريصين على عمران بلدهم وترقيته وتحسينه كذلك الناطقون بالضاد في جميع أوطانهم العربية لا يمنعهم وفاءهم لجامعة الإسلام العظمى من أن يتعاونوا فيما بينهم على ما فيه خيرهم المشترك...).

ثم يدعو الخطيب الشباب الناطق بالعربية إلى الاتحاد خدمة للوطن واللغة والثقافة قائلا: (...أيها الشباب المسلم الذي ولد من أبوين يتكلمان العربية شدّ عضدك بأبناء الأقطار العربية واعتبرها جميعا وطن لغتك وأدبك وثقافتك وقوميتك وليخفق قلبك مع قلوب هذه الملايين الكثيرة من الناطقين بالضاد من ديار بكر وديار ربيعة في الشمال إلى الأحقاف وسواحل حضرموت في الجنوب ومن حدود فارس في الشرق إلى الأمواج التي تتلاطم على سواحل الرباط وسالا في الغرب...)<sup>18</sup>.

وفي مضمار آخر يقول وهو يخاطب الشباب العربي: (...أيها الشباب العربي لأجل أن تكون عربيا لا يكفي أن تكون ولدت متكلما بلسان القرآن ولا أن تنسب إلى وطن من أوطان العرب أو إلى سلالة من سلالاتهم، بل يجب أن تعرف الأخلاق التي امتازت بها العروبة وان تستمد من الرأي والحياة لعقلك وقلبك ونفسك، فإذا تشبعت منها تعلمها الناس من آثارك فيها...)<sup>19</sup> وبهذا فإن القومية العربية عند الخطيب أقدم وأعرق من القومية الفرنسية حيث يبين ذلك قائلا: (...فالفرنسيون لو جثتهم بكتاب أو مجموعة أشعار باللغة التي كان يتكلم بها أسلافهم قبل خمسمائة سنة لكانت غريبة عنهم ومجهولة منهم وكأنها لأمة غير أمتهم...)<sup>20</sup>.

وإذا كانت القومية العربية قد بنيت على أساس جنسي ولغوي وشعور مشترك فقط فإن القومية

الغربية عند الخطيب وليدة الحضارة الإسلامية وأساس متين تقوم عليه: (... إن عربتنا في مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا وليدة الحضارة الإسلامية، والحضارة الإسلامية التي قامت قوميتنا عليها شرع لها الإسلام قاعدة في تثبيت الجنسية أو إزالتها...) <sup>21</sup>. ورسالة تهدف إلى تحويل الإنسانية الضالة إلى طريق السعادة وقبل أن يفعلوا ذلك يجب على القومية العربية أن تعرف بنفسها أولاً وأن تعرف وظيفتها في الوجود ثانياً وأن الضامن لها بعد ذلك أن ترفع مشعل الهداية في الآفاق... وأن تنفذ بأشعة إلى أكباد الأوربيين والأمريكيين حتى يقولوا بملء أفواههم <sup>22</sup>: (إن الدين عند الله الإسلام) <sup>23</sup>.

وبعد أن يبين الخطيب بأن للناطقين بالضاد مصالح مشتركة تتعلق بماضيهم الواحد وتطلعاتهم المستقبلية المشتركة يؤكد بأن: (جهاد الشعوب العربية في سبيل اعتزاز القومية العربية يعد جزءاً من جهاد العالم الإسلامي في سبيل سعادته وجهاد العالم الإسلامي في سبيل ارتقائه وصلاحه وانتشار نور الهدى في ربوعه يعد جزءاً من سعادة الإنسانية كلها...) <sup>24</sup>. (فإيقاظ العروبة من نومها إحياء للإسلام وتجديد لعهد الأول الذي تجدد به شباب الإنسانية فاطمأنت إلى جناح رحمته وسعدت بمبادئه وقواعده وصافي شرعته...) <sup>25</sup>. والخطيب لا يرى فرقا بين العروبة والإسلام بل يراها وجهان لعملة واحدة حيث يقول: (فإن الأمة العربية تعلم أنها لا حياة لها إلا بالإسلام وهو الذي بوأها مكانتها في التاريخ وهو الذي أعاد إلى البلاد المسكونة بالساميين وحدتها القومية واللغوية فكان منها هذا الوطن العربي العظيم الممتد من البحر الهندي جنوباً إلى جبال الكرد في الشمال، ومن تخوم فارس شرقاً إلى سواحل بحر الظلمات في أقصى الغرب، وبالإسلام أوجد العرب أعظم نهضة وأرحم إدارة وأعدل تشريع وأسعد حضارة وأجمل عمران، وبالإسلام صد العرب طغيان الصليبية وردوها إلى وطنها البارد القاسي الجشع...) <sup>26</sup>.

ويستمر في تأكيدات بان العروبة والإسلام لا يمكن الفصل بينهما قائلاً: (... ونحن نستطيع أن نتصور تجرد أي ثقافة من روح الدين ولكننا لا نتصور إن كان تجرد ثقافة عربية من روح الإسلام لأن العروبة والإسلام شيء واحد وماضيها مشترك ومتلازم وأي قوة تبقى للعروبة إذا جردت من الإسلام...) <sup>27</sup>. ويؤكد بأن عزة العربية وريقها وانتشارها كانت بفضل الإسلام: (... إن الإسلام أوصل العربية إلى أوروبا وآسيا وإفريقيا وكانت العربية في بعض القرون لغة السوق

والمدرسة في اسبانيا وإيران كما هي لغة السوق والمدرسة في مصر والشام والعراق والمغرب، فلما ضعفت سلطة الدولة العربية تقلّصت العربية عن البلاد غير السامية...<sup>28</sup>. ويستمر في إبراز مكانة الإسلام في اللغة العربية ولولاه لانقسمت على نفسها وتباينت: (وأزيد قرائي علما بأن العربية نفسها في جزيرة العرب كانت قبل محمد بن عبد الله صلوات الله عليه سائرة في طريق الانقسام اللغوي فكانت لغة قحطان توشك تباين لغة عدنان بل كانت لهجات لغة عدنان توشك أن تصير لغات متفرقة. فلبني أسعد لغة ولطي لغة ولغيرهما لغة. فجاء القرآن قاضيا على هذه الفرقة وما يترتب عليها من ضعف ثم أعاد لجميع البلاد التي تتكلم باللغات السامية وحدة اللغة فهي اليوم تنعم بهذه الوحدة العظيمة وتشكر للإسلام هذه اليد في جملة ما تشكر له من أياديه...)<sup>29</sup>.

والحق يقال إن الفضل لله في حفظ العربية وقواعدها التي صاها القرآن من كل عبث أو ضياع قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>30</sup>. والعروبة والعربية عنده اعتزاز وافتخار وهو يؤكد ذلك قائلا: (...وأنا بصفتي من أبناء هذه اللغة العربية ليس لي لغة غيرها ولا تصح نسبي لغير أهلها، أرى نفسي عربيا يشارك كل عربي على وجه الأرض في بيانه وفي قوميته وغني عزته ومفاخره ومصالحه مهما اختلفت الألوان التي قضت السياسة بان تتلون بها هذه الأقطار على الخريطة...)<sup>31</sup>. والوطن العربي عنده قلعة الإسلام ومعقله الأشم وفي بلاد العرب تتجدد قوى الإسلام كلما طال بها المسير فيعود إليه رونقه الأول ويصلح به آخر هذه الأمة كما صلح بها أولها.

ويستبشر بالتقارب العربي خيرا قائلا: (...إن الناطقين بالضاد سائرون في الطريق وقد تقارب شعورهم من بغداد إلى دمشق إلى بيت المقدس إلى شمال إفريقيا...)<sup>32</sup>. لكن هذا التفاؤل يبقى دائما عند الخطيب حذرا بسبب ما يحكيه أعداء العروبة من دسائس ومؤامرات لإضعافها وتفريقها وتشثيتها وجعلها لقمة سائغة في متناولهم خدمة لمصالحهم وأغراضهم التوسعية فيقول: (إن الحلقوم الكبير الذي أراد منذ مائة عام أن يتلع الشرق الإسلامي هاب هذه اللقمة وخاف أن يغصّ بها فبثّ براءة مدهشة نزع القوميات التي صنعت الجامعة الإسلامية ومزقتها ثم وقف

أمام القومية العربية فهابها ورآها لقمة من شأها أن يغصّ بها فاخترع لها ببراعة هذه الوطنيات بل حاول في بعض الأحيان تمزيق العربية بالدعوة إلى كتابة اللهجات العامية في كل قطر عربي وجعلها لغات أدبية وهل كان تمزيق سوريا الصغيرة التي لا يزيد تعداد أهلها على ثلاثة ملايين إلى دول ووزارات وجمهوريات إلا من باب تجزئة اللقمة ليسهل ابتلاعها. وهل إحياء عنوان (الآشوريين) في العراق بعد أن أماتته القرون، وإحياء العرق البربري في شمال إفريقيا وتأليف كتب ونحو وصرف للغة البربرية إلا حلقات من سلسلة برنامج مرسوم ونحن نضع أعناقنا في هذه السلسلة لنختنق بها زاعمين أنها حلوية نتحمل بها...<sup>33</sup>.

والخطيب مؤمن إيمانا قطعيا بالوحدة العربية ومحارب كل من يسعى إلى ضربها ومنبه إلى خطر الغرب الذي عمل دوما على تفريق العرب مدعيا بأنهم ليسوا أمة واحدة ترتبط برابطة اللغة العربية والثقافة والمطمح المشترك بل هم مجموعة أمم: (فالمصري ليس عربيا ولكنه سليل الفراعنة والعراقي ليس عربيا ولكنه سليل الآشوريين والكلدانيين والسوري ليس عربيا بل هو سليل الآراميين واللبناني ليس عربيا وإنما هو سليل الفينيقيين ولكن الصليبيين يقولون لنا هذا وهم يعلمون أن القومية في الحضارات لا تتبع الأنساب بل هي تتبع اللغة والثقافة ووحدة المطمح...)<sup>34</sup>.

والوحدة العربية مطمحها النهائي هو الاستقلال التام وعدم التبعية فبدون الاستقلال والسيادة لا قيمة للوحدة.

(...الاستقلال حق من حقوق كل أمة إذا هي بذلت ثمنه خصوصا الأمة العظيمة بعددها وسعة بلادها العظيمة بإيمانها وقداسية أهدافها. وثمن الاستقلال أن تستعمل الأمة كل ما تحت يدها من نعم الله في المواضيع التي خلقت لها، وان تستنبط من هذه النعم الإلهية قوة تعنى بتنظيمها بحيث تكون في متناول يدها عند الحاجة المفاجئة...)<sup>35</sup>.

إن السياسة الاستعمارية التي أشار إليها الخطيب تهدف إلى إضعافنا حتى نصبح لقمة سائغة في أيديهم وعندها يستغلون خيراتنا ويننون مجدهم على أكتافنا كما هو واقع حالنا اليوم، ولعل الخطيب قد سبق زمانه وعصره بهذا التنبيه إلى الخطر الأعظم الذي سقطت فيه الدول العربية عقب التخلص من نير الحكم العثماني، حيث نجد بأن الشركات الأمريكية على الخصوص والغربية على العموم تستعمل كل ذكائها في بسط النفوذ على مقدرات العالم العربي وأوطانه والإبقاء على

ذلك النفوذ مستعينة بشتى أسباب الفرقة والتمزيق ولاسيما بان الوطن العربي عظيم الأهمية بموقعه الجغرافي وثرواته البترولية وغيرها. كما نبه الخطيب إلى خطر الشعبوية والوطنية الضيقة حيث يقول: (... من خمسين سنة أو أكثر يعمل الدساسون من رجال الاستعمار وأذناهم في الشرق على تفريق قلوب أبناء الملة الواحدة باسم القومية وعلى تفريق قلوب القومية الواحدة باسم الأوطان وعلى تفريق قلوب أبناء الوطن الواحد باسم أجزائه وباسم طبقاته وباسم عناصره. وقد ظن المستعمرون وأذناهم أنهم انتهوا من تمزيق العالم الإسلامي فصار الهندي والفارسي وغيرهما من أبناء الأقطار غير العربية لا يشعرون بشعور أبناء الأقطار العربية، وصار المصريون يرون جيرانهم شرقا وغربا كأنهم غرباء عنهم...) <sup>36</sup>.

ويواصل الخطيب تنبيه الأمة العربية وشعوبها على أن الاستعمار يسعى إلى تفريقنا وزرع الانقسام في صفوفنا لكنه في حقيقة الأمر ينظر إلينا على أننا كل لا يتجزأ ويخاطب أبناء جلدته قائلا: (... أيها اليمني، أيها النجدي والحجازي أيها العراقي أيها الشامي أيها المصري أنت في اليمن يمنيّ وفي نجد والحجاز نجديّ حجازي وفي العراق عراقي وفي الشام شامي وفي مصر مصري وأما تجاه الأمم -غير امة الضاد- فأنت عربي لا يعرفونك إلا كذلك ولا مصلحة لك في أن يعرفوك إلا كذلك. ولسانك الذي تنطق به منذ كنت تنطق يشهد عليك بذلك... والحضارة لا تعرف الأنساب للجماهير لأنها بوتقة تختلط فيها أنساب الجماهير وتمتزج وإنما هي تعرف اللغة ولا تعترف إلا بها...) <sup>37</sup>.

ويواصل الخطيب حديثه حاثا العربي على الإيمان بالوحدة العربية والسعي لها والاعتزاز بالعروبة: (... فإذا لم تكن يا من ولد ينطق بالعربية عربيا فأني شيء أنت إذا؟ كن قوي البصر لترى أفقا أبعد من أفق مولدك الضيق كن واسع الأمل لتطمع في مجد قومي أوسع من مجد وطنك المحلي، كن عالي الهمة لتستعين على المستقبل العظيم بقوم كثير العدد عظيم...) <sup>38</sup>.

ويرى بأن الشباب العربي في مختلف الأقطار العربية هو مصدر قوة العرب وباني كيانهم القومي: (... إن شباب الشعوب العربية في العراق والشام والحجاز بل وفي الجزائر والمغرب ترى أنها أعضاء في كيان قومي يجمعه لغة الضاد، وترى أن هذا الكيان القومي الذي تشترك فيه قلوب

ثمانين مليوناً من أذكى البشر وأشجعهم وأكرمهم هو بمجموعة مصدر قوة سماوية بشرنا بها الوحي المحمدي ولمسنا آثارها حيثما وجدت...<sup>39</sup>.

ومصدر قوة العرب لا تكمن في قوة شبابهم فحسب بل أيضاً في تجاوز أوطانهم التي لا يفصل بينها فاصل ما كان من فعلة الاستعمار ويبين ذلك الخطيب قائلاً: (...الناطقون بالضاد أمة واحدة متجاوزة الأوطان في آسيا وإفريقيا فلا يفصل بينها فاصل ولهم من المواهب القومية والمدارك العقلية ما لو أحسنوا استعماله لكانوا في الذروة العليا بين أهل العزة من الأمم السائدة، وفي استطاعتهم أن يستمدوا من تاريخهم لثقافتهم ما يؤهل ناشئتهم للاضطلاع بأعباء الأهداف القدسية في أقرب وقت لو نهبوا في ذلك منهج الأمم التي عرفت كيف تتحدى وكيف تتقدم وكيف تسود. ويقول الألمان الذين دونوا تاريخ وحدتهم أنهم مدينون بهذه الوحدة لمدرس التاريخ القومي والمللي أكثر مما هم مدينون لبسمارك<sup>40</sup> ومولكنه...<sup>41</sup> <sup>42</sup>.

وما سرده الخطيب كان من معايشة الواقع الإسلامي والعربي حيث عملت الدول الاستعمارية مجتمعة ومنفردة على تقسيم الأمة الإسلامية وتفريقها وفصل العرب عن العجم ثم تقسيم العرب إلى دول والعمل على تقسيم هذه الدول إلى أقليات مثلما فعلت فرنسا في بلاد الشام وما حاولت أن تفعله في بلاد المغرب العربي. ولم يكنف بفضح سياسة الاستعمار وأذنا به في العالم الإسلامي بل نبه إلى سياسته المزدوجة فمن جهة يعمل جاهداً على تفريق الأمة العربية وتشتيتها بكل السبل والوسائل لإضعافها ومن جهة ثانية يعمل على خلق أسباب القوة والوحدة في أوطانه هو وما قيام الوحدة الإيطالية والألمانية إلا دليل على ذلك. فإيطاليا كانت فرسة الفرقة الدينية والسياسية وكانت مقسمة إلى دول وإمارات بعضها مستقل وبعضها الآخر تابع ولكن جهود أبنائها المخلصين حوّلت الفرقة وحدة وما جهود مازيني وكافور وغاريبالدي ومن ورائهم الايطاليين المحبين للوحدة إلا دليل على الانتقال إلى القوة والمجد. ونفس الشيء في ألمانيا التي كانت منقسمة إلى ولايات وإمارات عدة وشيع دينية مختلفة آمنت بوحدة الجنس الجرمانى وخاضت الحروب ضد أعداء وحدتها (الدانمارك عام 1864، النمسا عام 1864، فرنسا عام 1870م) وحققت حلمها في أن تصبح موحدة وسيدة لأوروبا.

ويواصل الخطيب حديثه عن العروبة واصفا محاسنها متحدثا عن آلامها داعيا إياها إلى الوحدة والعمل الجاد أسوة بإيطاليا وألمانيا: (...وهذه الشعوب الناطقة بالضاد في غرب آسيا وشمال إفريقيا على تعدد حكوماتها وتفاوتها في درجات الاستقلال بإدارة شؤونها والتصرف في كيانها تشترك كلها كونها ذات لسان وأدب واحد وتراث فكري واحد، وأن ما يكتب في صحف أي قطر من أقطارها يتردد صدها في صحف الأقطار العربية كلها ويتأثر به الرأي العام في مجموع هذه الأقطار بلا استثناء...) <sup>43</sup>. ويستطرد قائلا: (...إن الناطقين بالضاد كان يجب أن تكون لهم رابطة مشتركة تعمل في نطاق واسع أو ضيق للمصالح المشتركة التي لا يكفي أن يستقل كل قطر بعدها في دائرته بدون أن يكون ذلك عن تعاون واتفق مع الأقطار الأخرى...) <sup>44</sup>.

ثم يوجه نداء ملحا للحكومات العربية طالبا منها أن تكون على اتصال فيما بينها في الخطوات التي تخطوها خدمة للوحدة والتكامل العربيين: (...لقد كنت أتمنى بعد أن صارت لنا حكومات مستقلة في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن أن تعنى هذه الحكومات بتكوين هذه "الرابطة" بان يكون لها في كل حكومة مصلحة تتفرغ لهذا الأمر وتكون على اتصال بزميلاتها في الحكومات العربية الأخرى...) <sup>45</sup>. ولكي يبعث الهمة في نفوس العرب حكاما وشعبا يسوق لهم التجربة الألمانية في إعادة بناء ما خربته الحرب وجمع الشمل ثانية قائلا: (...فالألمان الذين انصرفوا بعد الحرب العظمى لتعمير ما خربته الحرب من بنیان عزهم وتعويض تلك النكبة من ثروتهم ومكائنتهم لم يصرفهم ذلك عن العمل لقوميتهم كما يعملون لنفسهم ولم ترهبهم عظمة أعدائهم وما نالوا من نشوة النصر والغلب فراحوا يعللون النفس بما يشفيها من أعراض اليأس ولم يقيموا العقبات... وذهبوا يفكرون في إصلاح موقفهم وجمع كلمتهم ودفع ما نزل بهم من بلاء وكلما خطوا الخطوة فكروا في الخطوة التي بعدها ولم يضيعوا الوقت إلا فيما يعود على بني جلدتهم بالقوة والرفعة واسترداد أسباب السيادة...) <sup>46</sup>.

### 2- قومية ساطع الحصري وموقف الخطيب:

بعد قيام الحكم الفيصلي في العراق إثر اختيار الحكم العثماني وانحزاه أمام الحلفاء وتولي ساطع الحصري وزارة المعارف العراقية وتبنيه الدعوة إلى القومية العربية مع تجريدتها من الإسلام

وإثر زيارته لمصر وإلقاءه محاضرات حول القومية العربية تصدى له محب الدين الخطيب مبينا له أنه إذا حيل بين العروبة والإسلام فكأنما جعل العروبة جسما بلا روح وإذا كان للعرب أمجاد في التاريخ فتلك هي أمجاد الإسلام وأنه يجب أن يبنى التعليم على هذه الحقيقة ولا يمكن تصور إمكان تجريد الثقافة العربية من روح الإسلام لأن العروبة والإسلام شيء واحد وماضيهما مشترك ومتلازم. ويتساءل الخطيب قائلاً: (وأية قوة تبقى للعروبة إذا تجردت عن الإسلام).

ويبيّن أن مبعث اللادينية للقومية العربية في العراق مردها إلى تأثر ساطع الحصري بأفكار "جمعية الاتحاد والترقي التركية"<sup>47</sup> وهي فكرة دخيلة على البلاد العربية وأن العراق إذا استطاع أن ينشئ شبابا غيورين على الإسلام أوفياء لتاريخه موطنين النفس على أن يكونوا حلقة في سلسلة أمجاده فبشر العراق بمكانة تحت الشمس ستحسده عليها أمة كثيرة<sup>48</sup>. ثم يوضح أن تبني فكرة القومية المجردة من الدين تحت ذريعة التقريب بين الطوائف مرفوضة وأنه يجب أن يبنى التعليم الإسلامي على مرجعية كبار الأئمة ينبوع الإسلام الصافي والرجوع إليهم أقوى وسيلة للتقريب بين الطوائف التي فرقت بينها السياسة المتأخرة<sup>49</sup>.

وأثنى على فكرة "الفتوة" في العراق بأنها من أعظم مظاهر العمل في سبيل القوة ولا عيب فيها غير أنها عربية فقط وكان يجب أن تكون عربية إسلامية<sup>50</sup>. أما القومية العربية التي انتشرت في العراق يقول عنها أنها عربية عينية لكنها موبوءة بالجرائيم اللادينية التي كانت منتشرة في تركيا وقويت فيها واستفحل خطرهما أيام الاتحاد والترقي ثم تحولت في العهد الأخير إلى ما صار إليه الكماليون وحامل لواء هذه الدعاية هو الأستاذ ساطع بك الحصري دنلوب القطر العراقي الشقيق....<sup>51</sup>. وفي نظره وكعادته دائما فإنه لا يبخل على إخوانه عراقيين كانوا أو غير عراقيين بتقديم وجهة النظر التي تحقق العزة والقوة والتقدم واجتماع القلوب عليها لأن كل بناء عنده لا بد أن يستوفي شروطه وكل فكرة لا بد وان تتوفر لها دعائمها التي تقوم عليها ولهذا فإنه توجه بالنصح والإرشاد لمن تزعم في العراق فكرة القومية العربية فشكر وأثنى عليها غير أنه بين أن لا قيام لها ولا وجود إلا باستكمال عنصرها الثاني ألا وهو الإسلام.

وقد سدّ ذريعة القائلين بأن القومية العربية تجمع الطوائف جميعها وتبعد كل عصبية عنها وذلك بأن بيّن أن في مذاهب الإسلام ما يجمع على أفكار وأحكام هي في مصلحة الجميع

وخيرهم، ويبقى على الفقهاء والمجتهدين تحقيق هذا الهدف وعندئذ يكون للقومية العربية قوة في جمع شمل العرب وأقلياتهم الدينية والعرقية وأن خير ضمان لذلك هو سماحة الإسلام مع كافة الطوائف التي عرف بها على مرّ العصور. وينتهي بمقالته "ذكريات قديمة من زمن عبد الحميد إلى زمن عبد العزيز" إلى القول: (إن القومية العربية جديدة بأن تتسلح بما يحفظ كيانها من أخلاق ومعارف وأوضاع وصناعات ومرافق وهيبة وحرمة وأعظم العرب حظا في تحقيق هذه الأمنية هم ملوك العرب ورؤسأؤها). ويأمل أن يسمع ملوك العرب صوت التاريخ الإسلامي يناديهم إلى تسليح أمتهم بما يحفظ كيانهم. ويعترف بأن الأمم الأخرى قد سبقت العرب بمائة سنة أو أكثر ولكنه يقول: (إذا استيقظت العروبة وسارت في الطريق لا تلبث أن تدرك القافلة وتكون من أزهى مصايحها)<sup>52</sup>.

### 3- الخطيب وموقفه من تأسيس جامعة الدول العربية يوم 22 مارس 1945م:

وعندما ظهرت جامعة الدول العربية إلى الوجود يوم 22 مارس 1945م، فرح بها الخطيب وسرّ بمقدمها وتبّه إلى الرسالة السامية التي يجب أن تقوم بها خدمة للعروبة والذود عن أوطانها قائلا: (... وأرجو أن لا أكون مبالغا إذا قلت أنني أقدم الناس مراقبة لهذا المولود منذ كان جنينا في أحشاء الأقدار الإلهية وكنت ألاحظه من قبل أن تولد "العربية الفتاة" بسنوات غير قليلة، والعربية الفتاة هي التي كانت أنشط العاملين على إحاطة ذلك الجنين بالحراسة والعناية والوقاية منذ اثنتين وثلاثين سنة...) <sup>53</sup>. ويواصل قائلا: (هذا المولود العظيم الذي يحدد للناطقين بالضاد ذكرى وحدتهم السامية الأولى أيام كان أبو الأنبياء ينتقل بين العراق والشام ومصر والحجاز فيتفاهم مع جميع أبناء هذه القطر بلغة واحدة لا تختلف بلهجاتها. كما يحدد مولودنا العظيم للناطقين بالضاد ذكرى الوحدة العظمى التي كانت معجزة الدهر زمن الصحابة والتابعين).

والذين يسألون عن رسالة العربي بعد أن صارت للعرب هذه الجامعة القومية المباركة أحبيهم على "السابقة" التي تمت على أيدي الصحابة والتابعين في مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا قبل بضعة عشر قرنا فقد أحدثوا في هذه الأقطار أعظم انقلاب اجتماعي عرفه التاريخ بما وحدوا من لغاتها وتشريعاتها وأخلاقها وأهدافها...) <sup>54</sup>. وبعد أن أبدى فرحته وسروره بميلاد

الجامعة العربية يرى بان على عاتقها مسؤولية كبرى تتمثل في إعادة بعث تراث العروبة من جديد وتنقيته من الشوائب التي ألحقت به من طرف الغير قائلا: (...إن رسالة المشتغلين بالتاريخ والثقافات من علماء العرب بعد توقيع ميثاق جامعتهم القومية الجديدة بتبدئ بإعادة النظر إلى تاريخ العرب والإسلام وتنقيته مما أصق بكرام الصحابة وعظماء الملة من أكاذيب وافتراءات هم أكرم على الله وعلى أنفسهم من أن تستمر ملصقة بهم بعد اليوم.

ومتى بدا علماؤنا بكتابة تاريخ العرب والإسلام كتابة مجردة عن الأخبار الواهية التي لا أصل لها في المراجع المحترمة عادت إلى الناطقين بالضاد ثقتهم بأنفسهم وإيمانهم برسالتهم وحينئذ تنطق هذه الرسالة عن نفسها وتعود الإنسانية فترى على الأرض لونا من الشهامة والرحمة والسجايا النبيلة لا عهد لها بمثله منذ أكثر من ألف سنة...<sup>55</sup>. وفي الأخير يخلص إلى أسباب ضعف الشرق وعلته قائلا: (...ما ذل الشرق وانقطعت صلته بينبوع قوته ومادة حياته إلا يوم جهل الناطقون بالضاد قدر أنفسهم ونسوا رسالتهم العلوية التي كانوا بها ملح الأرض فرفعوا يدهم عن دفة السفينة وتعطلت ألباهم عن هداية القافلة وهناك استعجم الإسلام...)<sup>56</sup>.

ثم يدقق في أوضاع الأمة العربية وما وصلت إليه من ضعف وفرقة قائلا: (...لقد شعبنا نحن العرب فرقة واختلافا وصرنا نشعر بحاجة روحية إلى أن نرى ملوك العرب يتبادلون عواطف الحب لتبادل شعوبهم مثل ذلك فينكشف لهم أفق جديد من آفاق الغبطة والرضا في مشاهدة الحياة...)<sup>57</sup>. ثم يصف لهم العلاج قائلا: (...لا تعود إلى الشرق قوته وحياته إلا إذا عاد إلى اقتران إيمانه المحمدي بالإسلام يلزم الشرق شعثه ويستعيد قوته وتنمو فيه أخلاق الرجولة وتتأهل لمشاركة الأمم في حمل عبء الحضارة)<sup>58</sup>. ويتعجب من نخبة الأمة كيف لا تستغل الأوضاع السائدة في حث الناشئة على معرفة ماضيها والأخذ بأسباب قوته لبناء المستقبل: (...كلما رأيت الشباب المتحمس للعروبة في غرب آسيا وشمال إفريقيا أعجب لأكاذيبهم كيف لم يحرصوا على معرفة دعاة العروبة الأولين، وكيف لا يلقنون أسماءهم لصغار الأطفال كما تلقن الشيوعية اسم "النين" وكما ينقش الصهيونيون اسم "هرتسل" في فؤاد كل مولود فيهم، ولا كرامة لأمة تنكر على رجالها فضلهم وكرامتهم...)<sup>59</sup>.

ويخلص إلى أن العروبة جهاد وتضحية وليست انتساباً فقط: (...). وكلما كان الواحد منا أشد إخلاصاً لهذه العروبة وفناءً فيها وتخلقاً بأخلاقها وتضحية بمصلحته الشخصية في سبيل عزتها وقوتها وارتقائها كان بذلك معلماً في هذه الرابطة حتى لو كان أباهُ حديثي عهد بها. ومن قل إخلاصه لها وظنَّ عليها بالفناء فيها وضحى لمصلحتها العامة بأنانيته الذليلة ومنفعته الحقيرة فهذه العروبة بريئة منه حتى لو كان هاشمياً من قريش وخوؤلته من بني عبد المطلب في مذبذب. هذه هي سنة الإسلام في علاقة الفرد بالجماعة وعلى هذا الأساس تقوم عروبة الأمم التي تتألف منها جامعة الدول العربية...<sup>60</sup>. الواقع أيّد ما ذهب إليه الخطيب في مقولته السابقة بأن العروبة ليست نسباً فقط حيث رأينا الكثير ممن لا ينتسب إلى العروبة أصلاً كان من أكبر دعاة وخدامها أمثال أمير الشعراء "أحمد شوقي" و"عبد الله بن نوح الأندونيسي"<sup>61</sup> و"محمد مكين الصيني" و"أبو الحسن الندوي" و"تقي الدين الهلالي"... وذلك كله دليل على هذا ناهيك عن رفعوا اسمها عالياً بعلمهم واجتهادهم وأبحاثهم وهم كثرة لا قلة.

وكل الأفكار السابقة التي آمن بها وناضل من أجلها وعمل بكل ما لديه لتجسيدها على أرض الواقع سواء فيما يتعلق بالعروبة والجامعة العربية ومحاربة الشعوبية والاستعمار ودعوة النشء إلى الأخذ بأساليب القوة والاتحاد لم تكن نقاطاً اختصَّ بها وحده بال قاسمه فيها كثير من المخلصين والمفكرين العرب. فهذا شكيب أرسلان: داعية العروبة والإسلام يحث الشرقي على أن يحتفظ بأصالته كرمز خاص به يميزه عن غيره: (...). عن الشرقي ينبغي له أن يبقى شرقياً ويحتفظ بعاداته وأذواقه وأزيائه وكل ما يبعده عن الذوبان في غيره إلا إذا صادم ذلك مصلحة متحمّمة أو علماً ثابتاً ولسنا نرى شيئاً من هذا التصادم في هذه المسألة... ونحن نفهم بالتجدد أخذ العلوم والصناعات والاطلاع على كل الحقائق الكونية مما لا يزال يتجدد بتمادي الأيام...<sup>62</sup>.

#### 4- بعض مؤيدي الخطيب في دعوته للعروبة والإسلام:

وشكيب مثله كمثل الخطيب يؤمن بالارتباط الوثيق بين الإسلام والعروبة: (...). فإن العروبة وعاء الإسلام والإسلام روح العروبة...<sup>63</sup> وأي خطر يهدد الاثنين معاً. (...). فليس الإسلام مهدداً فقط بل العربية ولعمري هل يعيش هذا بدون هذه...<sup>64</sup>. ومؤمن بإنشاء جامعة عربية

تعمل على جمع الشمل العربي ووحدهم، فقد قال عنه عبد العزيز عزت: (... بأنه أول من نادى عن عقيدة وإيمان بتكوين جامعة عربية تعمل على تضامن العرب كافة وإسعادهم واستقلالهم...) <sup>65</sup>. وهو يرى أن وحدة العرب لا يمكن أن تقع دفعة واحدة شأنه في ذلك شأن الخطيب بل هي كسائر المشروعات العظيمة غير قابلة للتحقيق إلا تدريجياً (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً). وهذا التدرج في إتمام الوحدة لا يقتصر على الكمية بل يشمل الكيفية أيضاً. وهو يرى أيضاً أن تكون الوحدة اتحاداً عسكرياً واقتصادياً وسياسياً يضمن البقاء والوقوف في وجه أطماع الطامعين فينا وهذا لا يستلزم في رأيه الاتحاد الإداري ولا يوجب.

(...تمام اندماج مملكة بأخرى بل الوحدة العربية ممكنة بسهولة مع إبقاء كل من العراق وسوريا والمملكة العربية السعودية ممالك مستقلة بإدارتها الداخلية...) <sup>66</sup>. ويرى بأن نهضة الأمة ومستقبلها لا يكون إلا في إطار لغتها وتاريخها، وعاداتها وشخصيتها والأخذ بأسباب النهضة العلمية مثله في ذلك مثل الخطيب: (...التجارب من قديم الدهر أثبتت أن التربية لا تنهض بالأمة نهوضاً حقيقياً إلا إذا حصلت ضمن دائرة لغتها وتاريخها وعقيدتها ومشربها...) <sup>67</sup>. (... لا نهضة للأمم سوى النهضة العلمية فإذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية... آخذاً بعضها برقاب بعض...) <sup>68</sup>.

وهذا ابن باديس باعث الشخصية الجزائرية ومفجّر مكائنها في أعماق المواطن الجزائري يقاسم هو الآخر الخطيب أفكاره وأمانيه. فينظر إلى العرب على أنهم يمثلون أمة واحدة جمعتها الجغرافية وصهرتها القرون فيقول: (...إذا قلنا العرب فإننا نعني الأمة الممتدة من المحيط الهندي شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غرباً والتي فاقت سبعين مليوناً عدداً تنطق بالعربية وتفكر بها وتتغذى من تاريخها وتحمل مقدارا عظيماً من دمها وقد صهرتها القرون في بوتقة واحدة...) <sup>69</sup>. وابن باديس لا يقتصر على الجغرافية والتاريخ المشترك فقط بل يعطي أهمية للسان أيضاً في بناء الوحدة القومية فيقول: (...تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة. وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد، ولو وضعت

أخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظر وتباين قصد وتباعد تفكير ثم وضعت شاميا وجزائريا -مثلا- ينطقان باللسان العربي ورأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب في ذلك كله. لو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم...<sup>70</sup>. وهو الآخر يجعل من الدين الإسلامي واللغة العربية عامل تكامل وقوة وريادة في عدد المتحدثين بالعربية قائلًا: (... وأن الأمم تدين بالإسلام وتقبل هدايته ستتكلم بلسان الإسلام وهو لسان العرب فينمو عدد الأمة العربية بنمو عدد من يتكلمون لغتها، ويهتدون مثلها بهدي الإسلام ويؤمنون أنّ من تكلم بلسان العربي فهو عربي وإن لم ينحدر من سلالة العرب...)<sup>71</sup>.

وابن باديس مثله كمثل الخطيب حيث يولي أهمية كبيرة لعنصر الشباب حيث يرى فيه مستقبل الأمة ومنقدها من التبعية والاستعمار وباني نهضتها وعزتها من جديد فهو القائل:

يا نساء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

وابن باديس متفائل بيقظة العالم الإسلامي العربي مثل الخطيب موقن بما مبشر بطوائف التحرر من الأجنبي قائلًا: (...أما نحن -ونحن أعرف بأنفسنا- فإننا متيقنين أن هذه الأمم الإسلامية العربية استيقظت من سباتها وهبت للنهوض من كبوتها وشعرت بكرامتها وأخذت تذكر ماضيها أيام حريتها واستقلالها وهو غير بعيد فانتبهت تعمل لفك قيودها ونيل حريتها...)<sup>72</sup>.

ولم يكن للخطيب هذا العدد من المفكرين المؤيدين فقط بل هم كثيرون وذكرت بعضهم من الأعلام المشهورين على المستويين العربي والإسلامي، وهناك من عارضه في منهجه العربي الإسلامي كساطع الحصري منظر القومية العربية وميشيل عفلق وركي الأرسوزي وصلاح البيطار ومن كونوا حزب البعث العربي من العلمانيين في المشرق العربي، لأنهم يريدونها عروبة بلا إسلام. والباحث والمتتبع لفكر الخطيب من خلال كتاباته ومقالاته يستطيع أن يقف على حقيقة أن هذا الرجل إسلامي الجذور عربي القلب والقالب يغلب العقل على العاطفة والواقع على الخيال.

فكان وهو في مصر ينتقد ويوجه ويصف الحلول للمشاكل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية وكأنه مواطن مصري شديد الحرص تفرحه المنجزات على أرض الواقع وتؤلمه الأحداث التي تحل بمصر دون أن ينسى البلاد العربية في آسيا وإفريقيا ذلك لأنه قومي النزعة وان هذه الحدود التي تفصل بلاد العرب عن بعضها ما هي إلا حدود مصطنعة من طرف الدول الاستعمارية وأنها نتيجة لمؤامرات حيكت ضدّ الأمة العربية. ونستطيع القول بان فكره العروبي أصبح مدرسة لها رؤاها وتابعيها وهذه المدرسة ما هي في حقيقة الأمر إلا مدرسة شيخه ومعلّمه كما يقول الخطيب نفسه وهو: "الشيخ طاهر الجزائري" رحمه الله تعالى.

ومن رؤا هذه المدرسة أيضا على سبيل المثال فقط لا الحصر: شكيب أرسلان، محمد الخضر حسين، عبد الباقي سرور، عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي... وهم عرب. وأمثال محمد مكين الصيني، والأديب الصيني محمد سليمان بن كونغ يو وبدر الدين الصيني وابن نوح الاندونيسي، وتقي الدين الهلالي، وأبو الحسن الندوي ومسعود عالم الندوي وهم من الأعاجم الذين سخّروا أنفسهم وأقلامهم لخدمة الإسلام وعربية القرآن الكريم وقد كان لهم تأثير بارز في أوطانهم.

كما إننا نلاحظ أن كثيرا من البلدان المجاورة للبلاد العربية وغير المجاورة لها بحكم إسلامها أصبحت تعتر بالعروبة كاتنماء حضاري أمثال: جيبوتي والصومال وشمال تشاد وشمال النيجر ومالي وحتى جزر القمر الواقعة في المحيط الهندي وهي البعيدة عن الوطن العربي فقد انضمت إلى الجامعة العربية يوم 20 سبتمبر 1993م<sup>73</sup> لا لأصلها العربي بل بحكم دينها الإسلامي ولغة القرآن الكريم التي يعتزون بها فاعتمدت كلغة رسمية للبلاد، ورأى فيها الشعب القمري انتماءه الحضاري.

أفلا ترى معي أن فكر الخطيب في هذا الجانب أصبح واقعا ملموسا ومطبقا تطبيقا عمليا والواقع المعاش هو الذي يتكلم ويصدق هذه المقولة رغم محاولات أعداء العروبة من صهيونية عالمية وغرب وأذنانها على زرع بذور التفرقة والتباعد وبرغم المزاعم والمقولات بان هذه الدول ما طلبت الانتساب إلى الجامعة العربية إلا بدوافع اقتصادية بحتة. وما المؤتمر القومي الإسلامي الذي تأسس في بيروت عام 1997م إلا تجسيدا لفكرة الخطيب وتصديقا لما نادى

به وكان له شرف سبق إليه وهكذا تنازل القوميون عن عصبيتهم القومية بعد أن تيقنوا من انه لا عروبة ولا قومية عربية بدون الإسلام الذي يمثل ركنا هاما كما اقتنع الإسلاميون بان لا إسلام بدون العروبة ولا جامعة إسلامية بدون الأمة العربية.

### الخاتمة:

وفي الأخير وكلما أعمنا النظر في كتابات الخطيب ومساجلاته مع أعداء العروبة والإسلام يظهر لنا جليا بان هذا الرجل من دعاة القومية العربية لأن العرب هم مادة الإسلام وهم الذين حملوا رسالته إلى العالم. وأنه من دعاة الإسلام لأنه لا يرى للعرب عزة إلا به وبرسالته وأنهما صنوان لا يفترقان ولا تقوم لأحدهما قائمة إلا بوجود الآخر. وما دام العرب هم حملة المشعل وراية الإسلام في العصور الأولى فعليهم أن يستمروا في حملها لتبقى بلادهم منارة لمن ضلّ سواء.

### الهوامش:

1- محبة الدين الخطيب: سوري النشأة ولد في دمشق عام 1886م وتوفي في القاهرة عام 1969م التحق بكلية الآداب والحقوق في اسطنبول عام 1905م أسس بها رفقة الأمير الشهابي جمعية النهضة العربية عام 1907م لاحقته السلطة العثمانية لنشاطه القومي فهرب إلى اليمن ثم عاد إلى سورية بعد الانقلاب العثماني عام 1908م بعدها هاجر إلى مصر عام 1909م. شارك في الثورة العربية الكبرى عام 1916م وحرّر جريدة القبلة الناطقة باسمها، ثم تولى رئاسة تحرير جريدة العاصمة في العهد الفيصلي بسورية التي غادرها إلى مصر. أنشأ في مصر مجلة الزهراء ثم صحيفة "الفتح" 1926-1948م. كان من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين عام 1928م بالقاهرة، سخّر قلمه وفكره لخدمة القضايا العربية والإسلامية عقب سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924. "أنظر مذكرات محبة الدين الخطيب التي نشرها الدكتور صالح الخريفي لأول مرة في حلقات عديدة في مجلة الثقافة التي كان يشرف عليها ابتداءً من العدد: 06 الصادر في ذي القعدة 1391هـ يناير 1972م وما يليه".

2- محبة الدين الخطيب: "رسالة الأمة العربية إلى البشر" -الفتح- العدد: 309-7 جمادي الأولى 1351هـ السنة: السابعة- ص:1.

3- محبة الدين الخطيب: "عربي القبيلة وعربي الحضارة الإسلامية" -الفتح- العدد: 858- شعبان 1367هـ- ص:3.

4- نابليون بونابرت: 1769-1821م ولد في أجاكسيو من عائلة بونابرت إمبراطور فرنسا 1804-1815م، اشترك في حملة إيطاليا الأولى عام 1794م والثانية 1796م، قاد حملة على مصر 1798-1799م فانتصر في معركة الأهرام، جلب من الفاتيكان إلى مصر أول مطبعة عربية (بولاق)، قنصل أول عام 1799م ثم قنصل مدى الحياة 1800م، ربط الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية بالدولة (الكونكورد 1801م) نشر القانون المدني عام 1804م، سمي إمبراطورا عام 1804م اشتهر بانتصاراته في أوسترتز، وبينوا وفريدلاندر وقاغرام. عزل عام 1814م، انزوى في جزيرة إلبا، عاد إلى باريس

بعد شهر قليلة فتحالفت أوربا فهزم في معركة واترلو عام 1815م. نفى إلى جزيرة القديسة هيلانة حيث توفي. المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة 27، دار الشروق، بيروت، لبنان، ص: 703، وأنظر كذلك:

Petit Larousse illustré 1986- Paris- Cedex-06- P 1545.

5- محب الدين الخطيب: "القومية العربية ومكانة مصر منها"- الفتح- العدد: 362- 24 جمادى الأولى 1352هـ السنة الثامنة، ص: 6.

6- محب الدين الخطيب: "قلوب تتكلم (في زيارة الأمير سعود)- الفتح- العدد: 459- 23 جمادى الأولى 1354هـ العام العاشر- ص: 4.

7- سورة "يوسف" الآية: 2.

8- محب الدين الخطيب: "ذكريات قديمة من زمن عبد الحميد إلى زمن عبد العزيز"- الفتح- العدد: 404- 7 ربيع الثاني 1353هـ- السنة: 9- ص: 3.

9- صلاح الدين الأيوبي: (يوسف بن أيوب) 532-589هـ/1138-1193م ولد في تكريت "كردستان العراق" وتوفي في دمشق، مؤسس الدولة الأيوبية، أكبر ملوك المسلمين على أيام الصليبيين عزل الخليفة الفاطمي واعترف بسلطة الخليفة في بغداد عام 1171م. انتصر على الزنكيين قرب حمص واحتل سوريا والموصل، استولى على طبرية وهزم الإفرنج قرب حطين عام 1187م وأسر ملك القدس غي دي لوزينيان وفتح بيت المقدس، ثم عقد هدنة مع الصليبيين وسالمهم. "المنجد في اللغة والأعلام"- المرجع السابق- ص: 425.

10- طارق بن زياد: (ت 102هـ-720م) قائد عربي أصله من البربر فتح الأندلس تحت إمرة موسى بن نصير عام 711م انتصر على رودريك ملك القوط الغربيين في معركة وادي بكة. احتل قرطبة والعاصمة طليطلة واشبيلية ومالقة، وعاد مع موسى بن نصير إلى سوريا فدخل دمشق في موكب حافل بالأسرى والغنائم في عهد الوليد بن عبد الملك عام 715هـ. "المنجد في اللغة والأعلام"- المرجع السابق- ص: 433.

11- زنكي نور الدين: (ت 1174م) ابن عماد الدين زنكي، تولى الحكم بعد اغتيال والده، حارب الصليبيين وانتزع منهم الرهاوبانياس عام 1164م ضم الموصل إلى ممتلكاته بعد حصار شاق عام 1171م. دفن في مدرسة دمشق، شيّد الحصون والمساجد. (المنجد في اللغة والأعلام)- المرجع السابق- ص: 339. زنكي نور الدين: (ت 1174م) ابن عماد الدين زنكي، تولى الحكم بعد اغتيال والده، حارب الصليبيين وانتزع منهم الرهاوبانياس عام 1164م ضم الموصل إلى ممتلكاته بعد حصار شاق عام 1171م. دفن في مدرسة دمشق، شيّد الحصون والمساجد. (المنجد في اللغة والأعلام)- المرجع السابق- ص: 339.

12- محب الدين الخطيب: "رسالة الأمة العربية إلى البشر"- الفتح- العدد: 309- 7 جمادى الأولى 1351هـ- السنة السابعة- ص: 2.

13- محب الدين الخطيب: "من هو العربي وما هي الرسالة التي يحملها إلى إنسانية الغدا؟"- الفتح- العدد: 821 ربيع الآخر 1364هـ- العام: 17- ص: 6.

## محب الدين الخطيب داعية العروبة والإسلام

- 14- محب الدين الخطيب: "متى نكون أمة صالحة؟"-الفتح- العدد: 844- جمادى الآخرة 1366هـ- العام 17- ص: 4.
- 15- محب الدين الخطيب: "تراث العروبة والإسلام"-الفتح- العدد: 813- رجب 1363هـ العام 17- ص: 4.
- 16- محب الدين الخطيب: "عربي القبيلة وعربي الحضارة الإسلامية"-الفتح- العدد: 858- المصدر السابق.
- 17- محب الدين الخطيب: "مطمح الأدب العربي"-الفتح- العدد: 366- 22 جمادى الآخرة 1352هـ العام الثامن- ص: 3.
- 18- محب الدين الخطيب: "الجامعة القومية والجامعة الإسلامية"-الفتح- العدد: 232- 12 شعبان 1349هـ العام 17- ص: 3.
- 19- محب الدين الخطيب: "تراث العروبة والإسلام"-الفتح- العدد: 813- المصدر السابق- ص: 5.
- 20- محب الدين الخطيب: "عربي القبيلة وعربي الحضارة الإسلامية"-الفتح- العدد: 858- المصدر السابق.
- 21- نفسه- ص: 4.
- 22- محب الدين الخطيب: "رسالة الأمة العربية إلى البشر"- المصدر السابق- ص: 2.
- 23- سورة آل عمران الآية: 19.
- 24- محب الدين الخطيب: "رسالة الأمة العربية إلى البشر"- المصدر السابق- ص: 3.
- 25- محب الدين الخطيب: "المصاييح التي استيقظت العروبة على ضوئها"-الفتح- العدد: 513- 17 جمادى الآخرة 1355هـ السنة 11- ص: 3.
- 26- محب الدين الخطيب: "الإسلام والوطن العربي"-الفتح- العدد: 531- 24 شوال جمادى الآخرة 1355هـ- ص: 4.
- 27- محب الدين الخطيب: "تعاون الناطقين بالضاد في عشرين سنة"-الفتح- العدد: 666- 24 جمادى الآخرة 1358هـ السنة 14- ص: 4.
- 28- محب الدين الخطيب: "القومية العربية ومكانة مصر منها"-الفتح- العدد: 362- المصدر السابق- ص: 7.
- 29- محب الدين الخطيب- المصدر السابق-.
- 30- سورة الحجر الآية: 9.
- 31- محب الدين الخطيب: "العرب"-الفتح- العدد: 434- 17 ذي القعدة 1353هـ السنة: 9 - ص: 2.
- 32- المصدر السابق نفسه.
- 33- محب الدين الخطيب: "القومية العربية ومكانة مصر منها"-الفتح- العدد: 362- المصدر نفسه- ص: 18.
- 34- محب الدين الخطيب: "رسالة الأمة العربية إلى البشر"-الفتح- العدد: 309- جمادى الأولى 1351هـ العام: 7- ص: 3.
- 35- محب الدين الخطيب: "تعميم الجيش المرابط في الوطن العربي"-الفتح- العدد: 669- 16 رجب 1358هـ العام 14- ص: 3.

- 36- محب الدين الخطيب: المصدر السابق.
- 37- محب الدين الخطيب: "هذه يدي فأعطني يدك"-الفتح- العدد: 565- 26 جمادى الآخرة 1356هـ العام 12-ص: 4.
- 38- محب الدين الخطيب: "هذه يدي فأعطني يدك"-الفتح- العدد: 565- 26 جمادى الآخرة 1356هـ العام 12-ص: 4.
- 39- محب الدين الخطيب: "فضل فرنسا على القومية العربية" -الفتح- العدد: 486- 4 ذي الحجة 1354هـ العام 10-ص: 3.
- 40- Bismarck: 1815-1898م من مشاهير السياسيين الألمان واحد الذين حققوا الوحدة الألمانية وجعلوا ألمانيا في مقدمة الدول الاستعمارية في القرن 19. -المنجد في اللغة والأعلام- المرجع السابق- ص: 132.
- 41- مولتكه (فون) Moltke: اسم قائدين ألمانين، هملوت- 1891م قاد الجيش الألماني في الحرب مع فرنسا 1870-1871م وابن أخيه هملوت (1848-1916م) رئيس أركان الحرب 1914م، "المنجد في اللغة والأعلام"- المرجع السابق- ص: 695.
- 42-- محب الدين الخطيب: "تعميم الجيش المرابط في الوطن العربي"-الفتح- العدد: 669- المصدر السابق.
- 43- محب الدين الخطيب: "فراغ في حياة القومية العربية"-الفتح- العدد- 608- 2 جمادى الأولى 1357هـ العام 13-ص: 3.
- 44- محب الدين الخطيب: المصدر السابق- ص: 4.
- 45- المصدر السابق نفسه.
- 46- محب الدين الخطيب: "القومية العربية والقومية الألمانية"-الفتح- العدد: 619- 20 رجب 1357هـ العام 13-ص: 4.
- 47- محب الدين الخطيب: "تعاون الناطقين بالضاد في عشرين سنة"-الفتح- العدد: 666- 24 جمادى الآخرة 1358هـ العام 14-ص: 4.
- 48- محب الدين الخطيب: "أربعة عشر قرناً تناجى أمة العرب فهل أصغى العراق؟"-الفتح- العدد: 488- 18 ذي الحجة 1354هـ العام 10-ص: 3.
- 49- المصدر السابق- ص: 4.
- 50- محب الدين الخطيب: "تعميم الجيش المرابط في الوطن العربي"-الفتح- العدد: 669- المصدر السابق- ص: 4.
- 51- محب الدين الخطيب: "تعاون الناطقين بالضاد في عشرين سنة"- المصدر السابق- ص: 4.
- 52- محب الدين الخطيب: "ذكريات قديمة من زمن عبد الحميد إلى زمن عبد العزيز"-الفتح- العدد: 404- المصدر السابق- ص: 4 وما بعدها.
- 53- محب الدين الخطيب: "من هو العربي؟ وما هي الرسالة التي يحملها إلى إنسانية الغد؟"-الفتح- العدد: 821- المصدر السابق- ص: 4.

- 54- المصدر السابق الذكر- ص: 5.
- 55- محج الدين الخطيب: "من هو العربي؟ وما هي الرسالة التي يحملها إلى إنسانية الغد؟"- الفتح- العدد: 821- المصدر السابق- ص: 6.
- 56- محج الدين الخطيب: "قوة العرب المعطلة"- الفتح- العدد: 374- 19 شعبان 1352هـ السنة الثامنة ص: 1.
- 57- محج الدين الخطيب: "الحلف العربي"- الفتح- العدد: 244- 7 ذي القعدة 1349هـ السنة الخامسة- ص: 2.
- 58- محج الدين الخطيب: "قوة العرب المعطلة"- الفتح- العدد: 374- المصدر السابق.
- 59- محج الدين الخطيب: "المصاييح التي استيقظت العروبة على ضوءها"- الفتح- العدد: 513- 17 جمادى الآخرة 1355هـ السنة 11 ص: 4.
- 60- محج الدين الخطيب: "عربي القبيلة وعربي الحضارة الإسلامية"- الفتح- العدد: 858- شعبان 1367هـ العام 18- ص: 5.
- 61- عبد الله بن نوح الاندونييسي: "الاتحاد العربي والوحدة العظمى"- الفتح- العدد: 510- 25 جمادى الأولى 1355هـ السنة 11- ص: 3،4.
- 62- صحيفة الشورى- 26 أوت 1926م- وأنظر: كذلك أحمد الشرياصي- شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام- "سلسلة أعلام العرب" رقم 21- مطبعة مصر- 1963م- القاهرة- مصر- ص: 102.
- 63- المصدر السابق الذكر- أحمد الشرياصي- نفسه- ص: 142.
- 64- المرجع نفسه- ص: 143.
- 65- المرجع نفسه- ص: 122.
- 66- المرجع نفسه- ص: 116.
- 67- شكيب أرسلان: "جواب على سؤال بشأن تأخر العالم الإسلامي"- الفتح- العدد: 303- 24 ربيع الأول 1351هـ السنة 7- ص: 1 وما بعدها.
- 68- أحمد الشرياصي- المصدر السابق- ص: 124.
- 69- صالح الحزفي: "ابن باديس والعروبة" مجلة- الثقافة- "مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر"- العدد: 2- ماي 1971م- ص: 26.
- 70- نفسه- ص: 28.
- 71- الشيخ عبد الحميد بن باديس: "النبى محمد رجل القومية العربية"- مجلة العربي- "مجلة ثقافية تصدر شهريا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت"- الكويت- العدد: 233- ربيع الآخر 1398هـ- أبريل 1978م- ص: 43.
- 72- صالح الحزفي- المرجع السابق- ص: 38.
- 73- أنور الياسين: جزر القمر عرب في أرخبيل البراكين والطور- العربي- "مجلة ثقافية تصدر شهريا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت"- العدد: 433 جمادى الآخرة 1415هـ- ديسمبر 1994م- ص: 41، 43.